اقتحام عالم الكبار..

لم ينس السيد النحال واقعة الكاتب الذى استولى أحد رجال عبد الحكيم عامر على زوجته، وهى الواقعة التى وصل فيها صوت هذا الكاتب إلى جمال عبد الناصر بالشكوى من فساد هذه الحاشية، فقال لنفسه:

ـ «والآن.. آن لى أن يصل صوتى أنا الآخر إلى الزعيم.. فحلمى عبد الباقى ضابط الثورة، والكاتب المعروف، سرق زوجتى من خلف ظهرى ليجبرنى على تطليقها، وقد هددنى هذا الرجل صاحب الأهمية عندكم بالقتل.. ولهذا، فقد هربت بجلدى بعيدًا عن بطشه.. وهجرت أعمالى واختفيت بعيدًا إنقاذا لحياتى.. هربت وفى نيتى أن أكتب لكم بمأساتى كما فعل من قبل الكاتب محمد كامل حسن المحامى ووقفتم فى صفه.. إن مصر تعانى من إسرائيل التى اغتصبت أرضها، وصارت معاناتى مضاعفة؛ لأن وحشًا اغتصب منى زوجتى.. فهل يرضيكم هذا يا سيادة الرئيس؟..»

كان «كلة» يعود فى المساء محملًا بالأنباء ويدخل على أطراف أصابعه حتى لا يزعج معلمه، فقد عرف من زوجته رسمية أن ضيفهم المهذب يغلق غرفته على نفسه دائمًا ويتحرر من كل ملابسه عدا بنطال البيجامة هربًا من الحر، وأنها إذا أمدته بشاى أو قهوة يجعلها تقف طويلًا أمام الباب المغلق حتى يرتدى ملابسه.. هكذا وضعت يدها على مدى تأدبه، وهكذا أضاف كله على مزايا معلمه ميزة جديدة تزيد من عظمته عنده.. حتى إن الندم قد داخله للحظات وعاتب نفسه عندما ساوره القلق حول باب سيغلق وخلفه رجل غريب مع امرأته، وأنه مع دعوته الكريمة لعمل هذه الضيافة سلم بأنه لا حيلة له فيما لو أغواهما الشيطان فى غيبته، ووجد أنه فى حرج اتخاذ أى تصرف وقائى يبدو منه أنه

يخوّن معلمه، وقال لنفسه:

ـ «من الأشرف لك يا كُلّه أن تُخان، ولكن من العيب أن تُخوِّن»

وكانت عودة كله الليلية بمثابة عودة الحياة إلى رجل لم يجرب من قبل أن يسجن نفسه بين أربعة جدران، ولذا فقد كان يعيش النحال عبر تقرير كلّه التفصيلى كل ساعات اليوم بأثر رجعى، وقد تعلم كلّه أن يبدأ حديثه بالأهم ثم المهم ثم الأقل أهمية.

فعندما حدثه عن زيارة الرجل الكبير حشمت بركات للفيلا ليسأل عنه بوجه ملؤه أسى أتى.. كُلّه بتفاصيل ما رآه فى المكتب وهو يقدم الشاى لهذا الضيف أمام فوزية..

فقد حكى عن أحزان فوزية بسبب تردى صحة حكمت وبشاير، وقدمت له زجاجة الدواء التى انتهى ما بها ويجب جلب بديل لها.. فسأله السيد النحال بلهفة:

ـ «زجاجة سوداء..؟»

ـ «أجل.. كانت فارغة إلا قليلًا، ووضعها حشمت بك فى جيبه»

ـ «لماذا وضعها فى جيبه؟»

ـ «سمعتها تقول إنه دواء تركيب ليأتى بمثله..»

لعنها فى سره.. ووارى اضطراب مشاعره.. ثم واصل الاستماع إلى باقى أحداث هذا اليوم.. ثم رنا إلى كُلّه بعين فاحصَة:

ـ «ألم يكن يضاحكها وتضاحكه؟»

سرح كلّه قليلًا وعيناه مصوبة نحو السقف:

ـ «لا يا معلم.. الكدب خيبة.. فوزية جدعة.. وتحبك»

ألقى إليه بنظرة حازمة وهو يلقى إليه بأمر عجيب:

ـ «اسمع: سأرسلك بخطاب منى تسلمه لجمال عبد الناصر»

بحلق «كُلّه» فى وجه معلمه، وأخذه الذهول وهو يردد:

ـ « أتريد منى أن أقابل جمال عبد الناصر؟»

ـ « أجل..»

ـ «جمال عبد الناصر نفسه؟»

ـ «أجل..»

ـ «أنت متأكد؟»

ـ «لماذا تتعجب هكذا..؟ أتظن أنه لا يقابل الـ».. «أمثالك؟»

ضحك كله وهو يرنو إلى الباب المغلق عليهما:

ـ «أمثالى لا يسلمون مؤخراتهم إلا برغباتهم.. المصيبة فى قادته للذين اغتصبوا اغتصابًا..»

واستغرقا فى موجة من الضحك الملىء بالإسقاطات الجنسية التى حركت شبقًا كامنًا فى غريزة النحال المقموعة.. فتجسمت أمامه صورة مذهلة لمفاتن جسد رسمية.. الجسد الذى أمعن فيه النظر من ثقب الباب ساعة أن شمرت ملابسها وراحت تمسح بلاط الصالة. لحظتها عربد الشيطان فى داخله فأسكته على مضض، ولما استدارت وأصبح نصفها العارى فى متناول سهامه أطال فيه النظر وتملكه حسد مفاجىء لرجله المخنث: فكيف له أن ينعم بهذا الجسد المجنون؟.. كيف له أن يحتويه ويسبر غوره.

فى هذا اليوم أغمض عينيه، واستدار.. ونام غير قرير العين، ورغم نومه فقد انتبه لاستيقاظ حواسه الغافية.. ثم دارت بينه وبين شيطانه حوارات مراوغة:

ـ «كلّه».. أعطاك الأمان.. لا تنس ذلك»

ـ «وأنا بادلته الأمان بالتعفف لأكسب ثقته وأشعل رغبتها.»

ـ «وإلى أين سينتهى بكما الحال؟»

ـ «ستتحرر من ملابسها أمامى عند أول إشارة من عقلى»

ـ «ومتى ستصدر إشارتك أيها المخادع؟»

ـ «وقت أن أقرر.. وقرارى مرتبط بفشلى فى قمعك أيها الشيطان»

أزاحته هواجسه بعيدًا عن بهجة المرح المتبادل بينه وبين «كله» ولم ينتبه لكل إبداعاته الفكاهية السافلة.. وتولاه شرود به شبق إثر تذكر حواره مع نفسه الشيطانية.. وهزه «كُلّه» كأنه يوقظه من النوم:

ـ «معلم سيد.. أين ذهبت؟»

ـ «إلى هناك..»

اخترع هذا الرد مسرعًا بعد انتباه مفاجئ:

ـ «هناك؟.. إلى أين؟»

ـ «مكتب جمال عبد الناصر فى منشية البكرى..»

ـ «إذن، الموضوع حقيقى.. لم تكن تتسلى بى..»

ـ «ستذهب إلى السكرتارية بنفسك وتسلمهم هذا الخطاب..»

ومد يديه إلى حفنة أوراق على منضدة بجواره وأخرج منها الخطاب الذى ما إن رآه كُلّه حتى صاح:

ـ «أخشى أن تزج بنا فى مصيبة.. لا تنس أنهم حكام.. حشمت بركات جمع كل رجالنا فى صندوق سيارة الشرطة خلال دقائق.. ولولا أننا كنا بعيدًا عنهم لشحنونا معهم..»

ـ «أنا الآن أشحنهم كلهم فى صندوق واحد أيضًا، وسترى نفسك»

ـ «وهل عبد الناصر لديه الوقت لمثل هذه الأمور؟»

ـ «الأمر لن يكلفه سوى تأشيرة صغيرة على الخطاب.. بعدها ستتحرك الدنيا»

سرح «كُلّه» قليلًا، فعاجله السيد النحال:

ـ «إنه مشوارك يا كُلّه لإنجاح مهمتى، غدًا فى الصباح تبدأ يومك بهذا المشوار..»

* * *

وكأنما أزاح حملًا ثقيلًا عن كاهله، ففكرة تشويه صورة حلمى عبد الباقى عند الرئيس كانت وسيلة لغاية لا يفهمها، ولكنه يحس بقيمة غالية لكل نتائجها المجهولة..، فهم قوم تضللهم الهزيمة، ويطاردهم التورط ويتحدثون عن الإصلاح وليس بأيديهم خطة: «ولذا فإن قرارات الإصلاح لا تعدو أن تكون مواقف عفوية بها عصبية.. سوف أنفذ منها إلى غايتى».

وفى الصباح خرج كُلّه مرتديًا أحلى ملابسه وبيده مظروف سميك ملفوف بورقة من صحيفة ليحقق أكثر المأموريات أهمية فى حياة سيده الممعن فى الكرم والدماثة..

والآن.. آن للسيد النحال أن يحتفل بنفسه.. ولا احتفال بالنفس فى هذا المربع الضيق

سوى بإيقاظ شيطانه النائم.. وهذا يستدعى إيقاظ رسمية التى لا يحس بتحركها قبل الضحى..

نقر على زجاج باب غرفتها بسبابته نقرًا خفيفًا.. ثم أدار الأكرة وأطل من الباب بهدوء وتلصص.. خلب لبه جسدها المستلقى فى أمان، المعلن عن مفاتنه فى ثقة، المبعثر الأطراف فى عفوية.. وراحت عيناه تنزلق من أعلى إلى أسفل وترسل إشارات الغزو القادم إلى مخه المذهول، وعندما وصل الإرسال إلى أسلحته الغافية.. استقام سلاحه وسال اللعاب.. خاف أن تصحو رسمية فتجده على هذا الحال فتعيب عليه ألا يشركها فى هذا التجهيز الواجب.. إغفال نصف القرار الذى تملكه.. ركع على ركبتيه وانحنى عند السرير ونقر على كتفها.. تقلبت وهى تتأوه وتتحدث بكلام غائم.. ناداها بصوت خافت.. لمحت وجهه يهتز كصورة تتثنى على صفحة ماء يترجرج.. أفاقت مضطربة، فتجمدت ملامحها وتصلب رأسها وصوبت نظراتها نحو سقف الحجرة كأنما تعيد تأمل ما شاهدته للتو. أمالت رأسها نحوه لتتأكد أنه هو.. أسرعت فغطت جسدها بالملاءة وهى تردد:

ـ «سأجهز لك الفطور.. يبدو أننى تأخرت عليك»

أراح كفه على نهدها القريب وضغطه وهو يبتسم: «أحلى فطور.. هو أنت..»

بحلقت فى وجهه، أبعدت كفه عن نهدها بهدوء.. سحبت جذعها إلى أعلى، وتأملته بدهشة:

ـ «أجئت لتفطر بى؟»

ـ «جائع.. ماذا أفعل؟»

ـ «كنت أقول لزوجى إنك شبعان وممتلئ العين»

ـ «مهما شبع الإنسان فمصيره الجوع»

ـ «ولكن طعامك فى منزلك..»

ـ «خميسة هجرتنى»

ـ «عندك فوزية»

ـ «لم تصبح حليلتى بعد»

ـ «وهل أنا حليلتك؟»

ـ «جنونى بك يجعلك عندى أكثر من هذا»

ـ «أنت تحتمى فى كلام كاذب»

ـ «ألا تصدقيننى»

ـ «كنت قبل الآن أصدقك، وأحترمك.. أما الآن فاخرج من غرفتى»

ـ «كل هذا لأنك لست جائعة مثلى»

ـ «قلت لك اخرج من غرفتى، واخجل من نفسك وأنت تسطو على شرف رجل أواك.. ويواجه الخطر من أجلك ومخلص لك. ألا تعلم أين هو الآن؟.. لماذا لم تقدم خطابك بنفسك للرئيس؟.. الآن عرفت أنك جبان.. لا تتصدى لمشاكلك بقدر ما تورط الناس بها..»

ـ «إذن، فهو يروى لك كل شىء..»

ـ «وأنا أيضًا..»

ـ «وسوف تبلغيه بما حدث اليوم»

ـ «إن لم تغادر منزلى غدًا فى الصباح سأطردك أمامه»

أصابه الخرس.. بصق على غبائه الذى أوهمه أنه أمام امرأة ميسورة.. تذكر خميسة التى دفعته فى صدره ذات ليلة مظلمة فى موقف كهذا كان هو فيه الطرف اللص..

أفاق على صوتها:

ـ «اذهب إلى غرفتك.. لو خالفت شرطى بالمغادرة غدًا فأنت المسئول عن نفسك.. أنت لم تجرب مهارة زوجى فى تمزيق أوجه الخونة بمشرطه الصغير الذى لا يفارقه..»